

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ^(٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِينَ﴾ ^(٧٠) [الشعراء: 69 - 71]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَتَمَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا أَرَادَ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى ﷺ لِيَعْرِفَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّ تِلْكَ الْمَحَنَ الَّتِي أَصَابَتْهُ كَانَتْ حَاصِلَةً لِمُوسَى كَذَلِكَ، أَتْبَعَهُ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، دَلَالَةً عَلَى رَحْمَتِهِ بِنَبِيِّهِ وَزِيَادَةً فِي تَسْلِيَتِهِ ﷺ^(١)، وَلِأَنَّهُ أَعْظَمَ آبَاءِ الْعَرَبِ، فَيَكُونُ ذِكْرُ سِيرَتِهِ حَامِلًا لِكُفَّارِ قَرِيشٍ عَلَى تَقْلِيدِهِ فِي التَّوْحِيدِ إِنْ كَانُوا لَا يَنْفَكُونَ عَنِ التَّقْلِيدِ، وَزَاجِرًا عَنِ اسْتِعْظَامِ تَسْفِيهِ آبَائِهِمْ فِي عِبَادَتِهَا^(٢).

ذِكْرُ سِيرَةِ الْأَبِ
حَامِلٌ عَلَى
الِاقْتِدَاءِ بِهِ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَأَتْلُ﴾: (تَلُو) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِتِّبَاعِ، تَلَوْتُ الرَّجُلَ أَتْلُوهُ تِلَاوَةً: تَبِعْتُهُ، وَمِنْهُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ يُتَّبَعُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ، وَجَاءَتْ الْخَيْلُ تَتَالِيًا، أَي: مُتَتَابِعَةً^(٣)، وَالتَّلَاوَةُ تَخْتَصُّ بِاتِّبَاعِ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ، تَارَةً بِالْقِرَاءَةِ، وَتَارَةً بِالِارْتِسَامِ لِمَا فِيهَا مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيْبٍ، وَهِيَ أَخْصُ مِنَ الْقِرَاءَةِ، فَكُلُّ تِلَاوَةٍ قِرَاءَةٌ، وَلَيْسَ كُلُّ قِرَاءَةٍ تِلَاوَةً^(٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾، أَي: أَقْصَصْ عَلَيْهِمْ^(٥).

(2) ﴿نَبَأً﴾: (نَبَأَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِتِّبَاعِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، يُقَالُ لِلَّذِي يَنْبَأُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ نَابِئٌ، وَسَيْلٌ نَابِئٌ: أَتَى مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَمِنْ هَذَا الْقِيَاسِ النَّبَأُ: الْخَبَرُ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى

(1) الشَّريبي، تفسير الخطيب الشَّريبي: 56 / 3.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 46 / 14.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تلو).

(4) الزَّاجِب، المفردات: (تلو).

(5) الشَّوكاني، فتح القدير: 138 / 4، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5365 / 15.

مكان، والمنبئ: المخبر، والنبأ: الصوت، لأنه يجيء من مكان إلى مكان⁽¹⁾، والنبأ: خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: الخبر الخطير ذا الشأن العظيم، وهو أمر إبراهيم عليه السلام إذ جاء قومه فرأهم يعبدون الأصنام⁽³⁾.

(3) ﴿أَصْنَامًا﴾: (صنم) كلمة واحدة لا فرع لها، وهي الصنم، وكان شيئاً يتخذ من خشب أو فضة أو نحاس فيعبد، وجمعه: أصنام، قال الله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: 74]⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ أي: حجارة نحتت تماثيل ليعبدوها⁽⁵⁾.

(4) ﴿فَنَظَّلُ﴾: (ظلل) أصل يدل على ستر شيء لشيء، يقال: ظَلَلْتُ وِظَلْتُ بحذف إحدى اللامتين، ليعبر به عما يفعل بالنهار، ويجري مجرى صرّت، وذلك لأن الظل لا يكون إلا بالنهار، قال تعالى: ﴿لَطَّلُوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الزوم: 51]، وقال سبحانه: ﴿ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: 97]⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا﴾ أي: نقوم على عبادتها نهاراً دون الليل⁽⁷⁾ على قول، وعلى الدوام على قول آخر.

(5) ﴿عَكِفِينَ﴾: (عكف) أصل يدل على مقابلة وحبس، يقال: عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكُفُ عُكُوفًا، وذلك إقباله على الشيء لا ينصرف عنه، فهو عاكف ومعكف، ومن الباب قولهم للنظم إذا نظم فيه الجوهر: عكف تعكيفا، والمعكوف: المحبوس، قال تعالى: ﴿وَالْهَدَىٰ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ﴾ [الفتح: 25]⁽⁸⁾، وقوله تعالى: ﴿عَكِفِينَ﴾ أي: مستمرين في عبادتها لا نني عن ذلك ليلاً ولا نهاراً⁽⁹⁾، لا نعدل بها شيئاً⁽¹⁰⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبأ).

(2) الرّاعب، المفردات: (نبأ).

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5365 / 15.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاعب، المفردات: (صنم).

(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5365 / 15.

(6) الرّاعب، المفردات: (ظلل).

(7) الرّمخشي، الكشف: 116 / 3، والشّوكاني، فتح القدير: 138 / 3.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عكف).

(9) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5365 / 15.

(10) الرّجّاح، معاني القرآن: 93 / 4.

❖ المعنى الإجمالي:

هذا إخبارٌ عظيمُ الشأنٍ من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء، أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل⁽¹⁾، فيخبر الله تعالى عن خليفه إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه وقومه منكرًا عليهم: ما هذه التماثيل التي تقومون على عبادتها من دون الله؟⁽²⁾ فأجابوه بأنهم يعبدون أصنامًا ويقومون على عبادتها ودعائها مستمرين لا يعدلون بها شيئاً⁽³⁾.

إنكار إبراهيم
على أبيه وقومه
عبادة الأصنام
وإصرارهم في
الاستمرار على
عبادتها

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلاغة عطف القصة على القصة:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على ما سبق، والعطف هنا من قبيل عطف القصة على القصة، وقد قدمت قصة موسى على قصة إبراهيم عليه السلام مع تأخرها عنها زمانياً، باعتبار أن موسى أرسل إلى فرعون الطاغية الذي قال للملأ: أنا ربكم الأعلى، وهذا قمة الكفر والشرك، وإبراهيم أرسل إلى قوم يعبدون الأصنام فهؤلاء أقل سفاهة وضللاً وجهاً من قوم فرعون، فهؤلاء كانوا يظنون أن هذه الأصنام تقربهم عند الله زلفى أو تشفع لهم، بينما قوم فرعون يعبدون الآلهة ويعبدون فرعون نفسه، فلذلك كان نبأ موسى مُقدِّماً على نبأ إبراهيم بالنسبة للدعوة إلى التوحيد والتَّحدي⁽⁴⁾.

فقه الأولويات
مراعى في ترتيب
قصص القرآن

بلاغة استعمال مفردة التلاوة:

آثر النظم الكريم فعل التلاوة في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ﴾ دون القراءة، ذلك أن التلاوة تعني: القراءة على سبيل التتابع وهي

التلاوة تتابع
القراءة،
والإشارة إلى أن
الموعظة والعبرة
تكون بالقرآن

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 317/3.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 317/3.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 83/19، والواحدى، الوسيط: 355/3.

(4) ابن فورك، تفسير ابن فورك، ص: 237، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 134/10.

مُخْتَصَّةً بِالْقُرْآنِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ كُلُّ تِلَاوَةٍ قِرَاءَةً وَلَيْسَ كُلُّ قِرَاءَةٍ تِلَاوَةً⁽¹⁾، فَاَلْمَعْنَى: أَقْرَأَ عَلَيْهِمْ عَلَى الدَّوَامِ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ خَبَرَ إِبْرَاهِيمَ الْعَظِيمِ لِيَتَأَكَّدَ عِنْدَكَ عَدَمُ تَأَثُّرِهِمْ بِمَا فِيهِ، وَذَلِكَ لَشِدَّةِ عِنَادِهِمْ⁽²⁾، لِأَنَّ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ لَهَا أَثَرٌ عَجِيبٌ فِي الْقُلُوبِ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ.

بلاغة تغيير أسلوب بدء القصة:

بُدِئَتِ الْقِصَّةُ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتْلُوَ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: ﴿وَأَنْتَلِ عَلَيْهِمْ﴾ على خلاف قصة موسى حيث بُدِئَتْ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ [الشعراء: 10]، وَلَعَلَّ تَغْيِيرَ الْأَسْلُوبِ هُنَا جَاءَ لِمَزِيدِ الْإِعْتِنَاءِ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ؛ لِأَنَّ عَدَمَ إِيمَانِ كُفَّارِ قَرِيشٍ بَعْدَ وَقُوفِهِمْ عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِيهِ أَقْوَى دَلِيلٍ عَلَى عِنَادِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ لَهُ خُصُوصِيَّةٌ عِنْدَهُمْ⁽³⁾، فَهُوَ جَدُّهُمْ الَّذِي يَفْتَخِرُونَ بِالِانْتِسَابِ إِلَيْهِ⁽⁴⁾، فَالْأَحْرَى بِهِمْ بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّتِهِ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ وَيُؤْمِنُوا.

تعيين مرجع الضمير:

يَرْجِعُ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتَلِ عَلَيْهِمْ﴾ إِلَى الْمَشْرُكِينَ، دَلَالَةً عَلَى أَنَّ الْقَصْدَ مِنْ إِيرَادِ الْقِصَّةِ هُوَ التَّذْكِيرُ وَضَرْبُ الْمَثَلِ⁽⁵⁾، فَلَمَّا كَانَتْ الْعَرَبُ لَهَا خُصُوصِيَّةٌ بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ؛ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ ﷺ أَنْ يَتْلُوَ عَلَيْهِمْ قِصَّتَهُ، وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ قَوْمِهِ، وَلَمْ يَأْتِ فِي قِصَّةٍ مِنْ قِصَصِ هَذِهِ السُّورَةِ أَمْرُهُ ﷺ بِتِلَاوَةِ قِصَّةٍ عَلَيْهِمْ إِلَّا فِي هَذِهِ⁽⁶⁾.

دلالة إضافة لفظ النبأ إلى العلم:

فِي إِضَافَةِ النَّبَأِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دُونَ ذِكْرِ إِشْرَاقِ قَوْمِهِ مَعَهُ، وَظَاهِرُ الْقِصَّةِ حَدِيثٌ عَنْهُ وَعَنْهُمْ،

نظم القرآن
مراعى فيه
أحوال المخاطبين

تذكير مشركي
قريش بإبراهيم
لاختصاصهم
بالانتساب إليه

إبراز موضع
العبرة والقُدوة
والأسوة

(1) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 71، والبروسوي، روح البيان: 6 / 281.

(2) الألوسي، روح المعاني: 93 / 19.

(3) الألوسي، روح المعاني: 93 / 19، وأبو حيان، البحر المحيط: 22 / 7.

(4) الألوسي، روح المعاني: 93 / 19.

(5) محمّد دروزة، التفسير الحديث: 249 / 3.

(6) أبو حيان، البحر المحيط: 162 / 8.

إشارةً إلى أَنَّ المنظور إليه هو إبراهيم عليه السلام، وأنه هو الذي يجب أن يكون مَوْضِعَ القُدوةِ والأسوةِ للمؤمنين، ولأصحاب الرِّسالات الطَّيِّبةِ الدَّاعيةِ إلى الخير، وعلى رأس أصحاب هذه الرِّسالات النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، حيث اجتمع في قومه كِبَرُ فرعون واستعلاؤه، وصَغَارُ قوم إبراهيم وحماقتهم⁽¹⁾.

معنى ﴿إِذْ﴾ ودلالاتها:

الظَّرْفُ في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ بمعنى: وقت أن قال إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه ماذا تعبدون؟ وقد أوتي الرُّشد من صغره، فهو من حين نشأ وترعرع أنكر على قومه عبادة الأصنام، وهو مشاهدٌ راءٍ له، لِيُعَلِّمَهُمْ أَنَّ ما يعبدونه لا يستحقُّ العبادة في شرعٍ ولا عقلٍ⁽²⁾.

الإشارة إلى تمام
رُشد إبراهيم مُدَّ
صغر سنَّه

دلالة اللَّامِ وَغَرَضُ تَقْدِيمِ ﴿لِأَبِيهِ﴾:

اللَّامُ في قوله تعالى: ﴿لِأَبِيهِ﴾: لام الاختصاص، وقَدَّمَ النَّظْمُ الكريمُ ذِكْرَ (أبيه) على قومه؛ لأنَّ أب الشَّخص أو عَمَّه هم أقرب النَّاسِ إليه، والدَّعوةُ عادةً تبدأ بالأقرب فالأقرب، فلأنَّه كان حريصًا على هدايته قَدَّمه اهتمامًا به، ولذلك سأل ربَّه ألا يُخْزِيَه يَوْمَ يَبْعَثُونَ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾⁽³⁾.

الدَّعوةُ تبدأ
بالأقرب فالأبعد
عنايةً ورعايةً

[الشُّعراء: 87].

غَرَضُ الإِطْنَابِ فِي قَوْلِهِ ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾:

عطف القوم على الأب في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من عطف العامِّ على الخاصِّ؛ لأنَّ أباه داخلٌ في قومه ضمناً، وذِكْرُ العامِّ بعد الخاصِّ إطنابٌ، والغَرَضُ منه الاعتناء بشأن

عطفُ العامِّ على
الخاصِّ للاعتناء
بالأب

(1) الخطيب، التفسير القرآني: 10 / 134.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6 / 131، والراعي، تفسير المراغي: 19 / 69، والطَّنطاوي، التفسير

الوسيط: 10 / 253.

أبيه مع ما فيه من إفادة العموم، وإبراز مكانة الأب، وأنه الأصل في الدّعوة إلى الله تعالى.

غرض الاستفهام في ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ وبلاغته:

الإنكار على
قوم إبراهيم
وتوبيخهم
وتقريزهم
لادعتراف
بجرمهم

تُستعمل ﴿مَا﴾ للسؤال عن ذات غير العاقل، وقد تُستعمل لصفات العقلاء وللسؤال عن حقيقة الشيء، وإبراهيم عليه السلام يعلم ما يعبد قومه، فالاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ليس حقيقياً، بل هو استفهام إنكاري للتوبيخ، ويدل على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَبُكَ إِلهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: 86]، فسؤال إبراهيم، هو من تجهل العارف، الذي يسأل عن الشيء وهو يعرف الجواب، ولكنه يريد بهذا السؤال أن يأخذ الجواب عن هذا الجرم، من فم المجرمين أنفسهم، ليكون ذلك موضعاً للمساءلة والمحاسبة على ما نطقت به أسنتهم، ولهذا كان تعقيب إبراهيم على هذا الجواب، بأن سألهم قائلًا: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [٧٦] أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ؟^(١)، فالاستفهام هنا بمعنى التحقير والتقريب^(٢).

توجيه التشابه اللفظي في استعمال ﴿مَا﴾ و﴿مَاذَا﴾:

للبالغة في
التوبيخ
والإنكار تقتضي
استعمال (ماذا)

جاء الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ بدون ذكر (ذا)، ووجهه: أن ﴿مَا﴾ لمجرد الاستفهام، فأجابوا بقولهم: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾، وفي (الصافات) يذكره: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [٨٥] [الصافات: 85]؛ و﴿مَاذَا﴾ [الصافات: 85] فيه مبالغة؛ لتضمنه معنى التوبيخ، فلما وبّخهم ولم يجيبوه، زاد على التوبيخ فقال: ﴿أَفَبُكَ إِلهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [٨٦] فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [٨٧] [الصافات: 86 - 87]؛ فذكر في كل سورة ما يناسب ما ذكر فيها^(٣)، وقيل:

(1) الخطيب، التفسير القرآني: 10 / 134.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19 / 138، وأبو حيان، البحر المحيط: 8 / 162.

(3) الأنصاري، فتح الرحمن، ص: 412.

هذه هي المُحَاجَّةُ الأولى في مَلَأَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ أَلْقَى فِيهَا دَعْوَتَهُ فِي صورةِ سؤَالِ اسْتِفسَارٍ غَيْرِ إنْكَارٍ؛ اسْتِنزَالاً لَطَائِرٍ نُفُورِهِمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَكَ عَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصّافات 85 - 86] فذلك مَقَامٌ آخَرُ لَهُ فِي قَوْمِهِ كَانَ بَعْدَ الدَّعْوَةِ الْأُولَى الْمَحْكِيَّةِ فِي سورةِ الشُّعْرَاءِ؛ وَلَاجِلِ ذَلِكَ كَانَ الاسْتِفسَاهُمْ مُقْتَرِنًا بِمَا يَقْتَضِي التَّعَجُّبُ مِنْ حَالِهِمْ بِزِيَادَةِ كَلِمَةِ (ذَا) بَعْدَ (مَا) الاسْتِفسَاهِيَّةِ فِي سورةِ (الصّافات)، وَكَلِمَةُ (ذَا) إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ (مَا) تَوَوَّلُ إِلَى مَعْنَى اسْمِ الْمَوْصُولِ؛ فَصَارَ الْمَعْنَى فِي سورةِ (الصّافات): مَا هَذَا الَّذِي تَعْبُدُونَهُ؛ فَصَارَ الْإِنْكَارُ مُسْلَطًا إِلَى كَوْنِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ تُعْبَدُ⁽¹⁾.

دلالة التّعبير بصيغة المضارع:

جاء التّعبيرُ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ دون أن يقول: (عبدتم)، وذلك باعتبار أنَّ العبادة واقعةٌ منهم الآن، ولاستحضار الاستنكار على عبادتهم الأصنام حين السؤال، فهو أرسخ في الإنكار والتوبيخ.

بلاغة تكرير الفعل في جملة الجواب:

أظهر النظم فعل ﴿نَعْبُدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ مع أنَّ الظاهر الاستغناء عن التّصريح؛ إِذْ كَانَ جَوَابُهُمْ عَنْ سُؤَالٍ فِيهِ: ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى تَعْيِينَ جِنْسِ الْمَعْبُودَاتِ، فَلَوْ قَالُوا: ﴿أَصْنَامًا﴾، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: 219]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ [سبأ: 23] لَكُنِيَ؛ لَكُنْهُمْ عَدَلُوا عَنْ سُنَّةِ الْجَوَابِ إِلَى تَكْرِيرِ الْفِعْلِ الْوَاقِعِ فِي السُّؤَالِ؛ ابْتِهَاجًا بِهَذَا الْفِعْلِ، وَافْتِخَارًا بِهِ⁽²⁾، فَجَاءَ الْجَوَابُ بِصِيغَةِ الْمُحَاوَرَةِ

استحضار معنى
التّوبيخ حين
السؤال

تكرير التّصريح
به ابتهاجًا
بعبادة الأصنام،
وافتحارًا وعنادًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 138 / 19.

(2) الرّمخشي، الكشاف: 317 / 3، 318، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 4 / 140، وأبو حيّان، البحر للحيط:

162، 89 / 7، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 89 / 7.

الجارية في سياقات قَصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَوْلُهُمْ: ﴿نَعْبُدُ﴾ يدلُّ على تأكيد عبادتهم والافتخار بها، مع نكادةٍ وعنادٍ في الجواب.

غرض تنكير المفعول ﴿أَصْنَامًا﴾:

بيان تعظيمهم
لأصنامهم
ومعبوداتهم
الباطلة

التَّوْبِينُ فِي ﴿أَصْنَامًا﴾ لِلتَّعْظِيمِ؛ وَلِذَا عُدِلَ عَنْ تَعْرِيفِهَا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَعْرِفُهَا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا، وَاسْمُ (الْأَصْنَامِ) عِنْدَهُمْ اسْمٌ عَظِيمٌ؛ فَهُمْ يَفْتَخِرُونَ بِهِ، عَلَى عَكْسِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَتَنْكِيرُ ﴿أَصْنَامًا﴾ لِلتَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ افْتِخَارٍ وَابْتِهَاجٍ بِعِبَادَتِهَا، فَنَاسِبٌ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ⁽¹⁾.

معنى الفاء ودلالاتها في ﴿فَنَظَّلُ﴾:

قصد إبراز ما
في نفوسهم
الخبیثة من
الابتهاج
والافتخار

لَمَّا كَانَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ يُرِيدُونَ إِظْهَارَ مَا فِي نَفُوسِهِمْ مِنَ التَّعْظِيمِ لِأَصْنَامِهِمْ وَالْإِفْتِخَارِ بِعِبَادَتِهَا، عَطَفُوا دَوَامَ عَكُوفِهِمْ عَلَيْهَا فِي قَوْلِهِمْ: ﴿فَنَظَّلُ لَهَا عَكِيفِينَ﴾ قَصْدًا إِلَى إِبْرَازِ مَا فِي نَفُوسِهِمْ الْخَبِيثَةِ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ وَالْإِفْتِخَارِ بِذَلِكَ⁽²⁾.

بلادة الإطناب:

الإطالة في
الجواب افتخارًا
واعترافًا

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَظَّلُ لَهَا عَكِيفِينَ﴾ إِطْنَابٌ، إِذِ الْجُمْلَةُ زَائِدَةٌ عَلَى الْجَوَابِ، إِظْهَارًا لِلتَّحَدِّيِّ، وَكَأَنَّهُمْ فَرِحُوا بِمَا هُمْ عَلَيْهِ⁽³⁾، فَزَادُوا بِهَذَا الْعَطْفِ فِعْلَ الْعِبَادَةِ تَأْكِيدًا⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بالفعل ﴿فَنَظَّلُ﴾:

الكناية عن
دوام العبادة في
الأوقات كلّها أو
في النهار وحده

الْمُرَادُ بِالظُّلُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَظَّلُ لَهَا عَكِيفِينَ﴾ الدَّوَامُ أَوْ فِعْلُ الشَّيْءِ نَهَارًا⁽⁵⁾، فَعَلَى الْمَعْنَى الْأُولَى تَكُونُ (ظَلٌّ) تَامَّةً، وَعَلَى الْمَعْنَى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 139 / 19.

(2) اللغراوي، التدبر والبيان: 344 / 24.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 247 / 6، والزّمخشرى، الكشاف: 317 / 3.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 150 / 19.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظل).

الثاني تكون ناقصة⁽¹⁾ وقد اختار كثير من المفسرين المعنى الأول⁽²⁾،
ووجه كونه أبلغ عندهم هو مناسبته لمقام الافتخار والابتهاج،
وما يزيد فعل العبادة تأكيداً بقولهم فنظّل لها عاكفين، وفي فعل
﴿فَنَظَّلُ﴾ دلالة الاستمرار لجميع النهار⁽³⁾.

واختار الزمخشري المعنى الثاني⁽⁴⁾ لأنهم كانوا يعبدونها نهاراً،
ووجه كونه أبلغ هو أنه مناسب للمقام أيضاً، فهو يدل على إعلانهم
الفعل لافتخارهم به⁽⁵⁾.

نكتة استعمال اللام ومعناها:

آثر النظم استعمال اللام في قوله تعالى: ﴿فَنَظَّلُ لَهَا﴾، فلم يقل:
(فنظّل عليها)، وإنما أوردته باللام لإفادة معنى زائد، كأنهم قالوا:
فنظّل لأجلها مقبلين على عبادتها، أو مستديرين حولها، وهذا
أيضاً من جملة إطنابهم، أو عدّى العكوف باللام؛ لأن المعنى: (لها
قانتون)⁽⁶⁾، كما أن اللام هنا جاءت لمعنى مقصود هو الاختصاص،
ولذلك عدّي باللام لبيان اختصاصهم بالعكوف على عبادة
أصنامهم، وهذا أنسب للمقام وأبلغ في الدلالة.

دلالة التعبير باسم الفاعل:

العكوف يعني ملازمة الشيء على سبيل التعظيم، وجاء التعبير
بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿فَنَظَّلُ لَهَا عاكفين﴾؛ لأنه أبلغ؛

تخصيص
الأصنام
بالعبادة بقصد
إظهار مكانتها

ثبات عبادة
الأصنام عليها
وملازمتها

(1) الألوسي، روح المعاني: 93 / 19.

(2) كابن عطية والبيضاوي وأبي السعود وغيرهم، يُنظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز: 234 / 4،
والبيضاوي، أنوار التنزيل: 543 / 19، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 247 / 19.

(3) الزمخشري، الكشاف: 317 / 3، وأبو حيان الأندلسي، البحر الحيط: 162 / 8، والدرويش،
إعراب القرآن وبيانه: 89 / 7.

(4) الزمخشري، الكشاف: 318 / 3.

(5) الألوسي، روح المعاني: 93 / 19.

(6) الزمخشري، الكشاف: 317 / 3، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 140 / 4، وأبو حيان، البحر الحيط:

وذلك لدلالته على الثبوت والدوام، ولأنه أنسب للمقام، وفيه كناية⁽¹⁾ عن دوام عبادتهم لأصنامهم.

❁ الفروق المُجَمَّيَّة:

الصَّئِمِ والْوَثْنِ:

الصَّئِمُ ما كَانَ مُصَوَّرًا مِنْ حَجَرٍ أَوْ نَحَاسٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، والْوَثْنُ ما كَانَ مِنْ غَيْرِ صُورَةٍ⁽²⁾، فَمَا اتَّخَذَهُ النَّاسُ مِنْ آلِهَةٍ فَكَانَ مِنْ غَيْرِ صُورَةٍ فَهُوَ وَثْنٌ، فَإِذَا كَانَ لَهُ صُورَةٌ فَهُوَ صَنَمٌ⁽³⁾، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا هِشَامُ الْكَلْبِيُّ فِي كِتَابِ الْأَصْنَامِ بِأَنَّ الْمَعْمُولَ مِنَ الْخَشَبِ أَوْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ صَنَمٌ، وَإِذَا كَانَ مِنْ حِجَارَةٍ فَهُوَ وَثْنٌ⁽⁴⁾، وَقِيلَ: الصَّئِمُ مَا كَانَ عَلَى صُورَةِ خَلْقَةِ الْبَشَرِ خَاصَّةً، وَالْوَثْنُ: مَا كَانَ عَلَى غَيْرِهَا⁽⁵⁾.

وَيُطْلَقُ الْوَثْنُ عَلَى الصَّلِيبِ، وَعَلَى الْقَبْرِ إِذَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَعَلَى كُلِّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَالْوَثْنُ أَعَمُّ سِوَاءَ كَانَ شَيْئًا مَجَسَّدًا عَلَى صُورَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا، فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ: مَرَّةً سُمِّيتَ أَصْنَامًا وَمَرَّةً سُمِّيتَ أَوْثَانًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: 25]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً﴾ فهذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا تُطْلَقُ عَلَى هَذَا مَرَّةً وَتُطْلَقُ عَلَى هَذَا مَرَّةً أُخْرَى.

الصَّئِمِ ما كان
من المَعْبُودَاتِ
الباطلة على
صورة، والْوَثْنِ
يَعْمُ كُلَّ مَعْبُودٍ
من دون الله

(1) الطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 99/3.

(2) ابن عزيز السجستاني، غريب القرآن، ص: 66.

(3) ابن منظور، لسان العرب: (صنم).

(4) الكلبي، كتاب الأصنام، ص: 53.

(5) مرتضى الزبيدي، تاج العروس: (صنم).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 38، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-80-8

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 38: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-80-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»